مظاهر البذخ والترف عند السلاجقة في العصر العباسي

د. سولاف فيض الله حسن

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الملخص:

كان ظهور السلاجقة على مسرح الأحداث قد أشر لحقبة جديدة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، إذ تولى على حكم دولة السلاجقة العظمى ستة من السلاطين الأقوياء ، الذين كان لهم الأثر في توسيع رقعة الدول السلجوقية، وكانت عصرهم من العصور المعروفة بالترف والبذخ في قصورهم داخل بغداد ، وهي من العصور الزاهية والتي بدأت من (٤٢٩-٥٥٢هـ/١٠٣٧-١١٥٧م) منذ طغرل بك إلى السلطان سنجر الذي يعد أخر سلاطين السلاجقة الأقوياء ، والذي كان عصره من أطول العصور في هذه الدولة، إذ طالت مدة حكمه ما يقارب ستين عاما ، وخطب له على المنابر في العراقين وبلاد الشام وديار بكر، وضربت السكة باسمه وتلقب بألقاب كثيرة كما تلقب أسلافه ، وكانوا يتباهون في الألقاب والقصور والملابس والحلي من المجوهرات النادرة والثمينة ، فضلا عن الأثاث والتزيين في منازلهم بصورة مبالغ فيها جداً .

Attributes of luxury and luxury during the Seljuks in the Abbasid period

Dr. Sulaf Faiz ullah Hassan

University 0f Baghdad / College of Education, Ibn Rushd Human Sciences Department of History

Abstract:

The Seljuk appearance on the scene may point a new era in the history of the Arab-Islamic state, as he took on the rule of the State of Great Seljuk six of the sultans of the powerful, who have had impact on the expansion of the Seljuk states, was their era of well-known luxury and extravagance Ages in their palaces inside Baghdad, it is of bright Ages, which began from (429-552h / 1037-1157m) since Tughril to the Sultan Sanjar, which is the last sultan of the Seljuks powerful, which was squeezed from the longest times in this country, with longer duration of his reign nearly sixty years, and speeches to him on the platforms in the Iraqis and the Levant, Diyarbakir and hit the rail in his name and dubbed many titles as dubbed his predecessors, and they boast the titles, palaces, clothes and ornaments of rare and precious jewels, as well as furniture and decorations in their homes are very overpriced

المقدمة:

يحدد المؤرخون الثلث الاول من القرن الخامس الهجري تأريخا لقيام دولة السلاجقة الكبرى حينما ارتقى طغرل بك[١]عرش نيسابور سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ، وكان ظهور السلاجقة على مسرح الاحداث قد اشر لحقبة جديدة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية ، إذ تولى على حكم دولة السلاجقة العظمى ستة من السلاطين الاقوياء ، الذين كان لهم الاثر في توسيع رقعة الدول السلجوقية ، وكانت عصورهم من العصور المعروفة بالترف والبذخ في قصورهم داخل بغداد ، وهي من العصور الزاهية والتي بدأت من (٤٢٩-٥٥٢هـ/١٠٣٧-١١٥٧م) منذ طغرل بك الى السلطان سنجر الذي يعد اخر سلاطين السلاجقة الاقوياء ، والذي كان عصره من اطول العصور في هذه الدولة[٢] ، اذ طالت مدة حكمه ما يقارب ستين عاما ، وخطب له على المنابر في العراقين وبلاد الشام وديار بكر وضربت السكة بأسمه وتلقب بالقاب كثيرة كما تلقب اسلافه ، وكانوا يتباهون في الالقاب والقصور والملابس والحلي من المجوهرات النادرة والثمينة ، فضلا عن الاثاث والتزيين في منازلهم بصورة مبالغ فيها جداً [٣]. وقد حاول طغرل بك بعد دخول بغداد الدخول في مصاهرات سياسية مع الخلافة العباسية ؛ لتدعيم موقفه اولا ولربط الخلافة العباسية بأواصر اجتماعية مع السلاجقة ثانياً[٤].وهذه المظاهر من الترف والبذخ في قصور السلاطين السلاجقة في بغداد هي محور بحثنا.

اصول السلاجقة ومواطنهم وبداية ظهورهم:

أسس السلاجقة إمبراطورية واسعة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي في منطقة الشرق الاوسط ، ويرجع أصل السلجوقيين إلى عشيرة قنق التركية والتي تمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة اخرى مجموعة القبائل التركية المعروفة بـ(الغز)[٥]، وقد سكنت الصحراء والسهوب والهضاب الممتدة من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا الى البحر الخزر(بحر قزوين) غربا ومن سيبريا شمالا الى شبه القارة الهندية وبلاد فارس جنوبا[٦]، وفي عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) نزحوا من مواطنهم الاصلية الى بلاد ماوراء النهر وخراسان[٧]، بسب قلة الموارد الاقتصادية مع تزايد اعدادهم من جهة واستمرار الحروب مع القبائل الاخرى من جهة ثانية[٨]، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر سيحون وجيحون، ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان وجرجان فأصبحوا بالقرب من الاراضي الاسلامية التي فتحتها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس عام (٢١هـ/٦٤١م) وينتمون السلاجقة الى جدهم سلجوق بن دقاق ودقاق لقبه (تيمور بالك) يعنى (القوس الحديدي) اي جد العائلة دقاق وهي فرع من (الاوخوذ) وكان دقاق من اعيان ترك الخزر ،

وكان وزيراً للخاقان بيغو احد خانات تركستان ، ويبدو انه حصل نزاع بينهما بسبب الغارات التي كان يشنها بيغو ضد الاراضي الاسلامية ، غير ان هذا النزاع سُوي باسترضاء دقاق الذي استمر في خدمة سيده حتى وفاته [٩].

أشارت المصادر التاريخية الى أن دقاق اول من دخل الاسلام من قبائل الغز، كما أن أسرته تعد من اوائل الاسر الغزية التي دخلت الاسلام ، لكن الواضح ان سلجوق هو اول زعيم غزي دخل في الاسلام ، من ولد سلجوق ونشأ نشأة عسكرية ، فلما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة لائحة عليه واشتهر بالفروسية والشجاعة فقربه ملك الترك ولقبه: سباشي، ومعناه (قائد الجيش) واستطاع سلجوق بشجاعته وكرمه ورجاحة عقله ان يستميل قلوب طوائف كبيرة من الجند والاكابر والعامة ، حتى خشيه ملك الترك وخاف من ازدياد نفوذه فتغير عليه ؛ مما حمل سلجوق على الرحيل من تلك البلاد والمسير بقبيلة وانصاره ومن حالفه الى بلاد الاسلام ، حيث جاور السامانيين والخانيين الغزنويين ، ومنذ ذلك الوقت عُرف هؤلاء بأسم : السلاجقة نسبة الى سلجوق الذي وحدهم تحت زعامته واخضعهم لحكم ابنائه واحفاده من بعد [١٠].

العلاقة بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة:

عاصر سلاطين السلاجقة العظام (٤٤٧-٥١٢هـ/١٠٥٥-١١١٨م) ثلاثة خلفاء عباسيين ، هم على التوالي: القائم بالله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) والمقتدي بأمر الله(٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٤-١٠٩٤م) والمستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) وبدأت العلاقة بين الطرفين ودية ، فقد كان من مصلحة العباسيين ان ينهوا السلطة البويهية ويقضوا على التمرد البساسيري ويوقفوا تغلغل النفوذ الفاطمي في اقاليمهم ، كما كان من مصلحة السلاجقة ان يحصلوا على تأييد الخلافة العباسية لشرعية نفوذهم في بلاد فارس والاناضول والعراق . والواقع ان عصر السيطرة السلجوقية لم تختلف عن عصر التسلط البويهي ، من ناحية الموقف من الخلافة العباسية الا في بعض المظاهر الشكلية . اما من الناحية الفعلية فقد بقي الخلفاء العباسيون مسلوبي السلطة قليلي النفوذ في السياسة والادارة ، ورغم ان السلاطين السلاجقة لم يتخذوا منصب امير الامراء او يستقروا في بغداد ، كما فعل البويهيون الا انهم لم يتنازلوا عن سلطتهم الواسعة ، بحيث تُرك الخليفة لا عمل له إلا إدارة اقطاعاته والتهديد بتأثيره الديني كلما زادت ضغوط الترك في العصر الثاني والبويهي في العصر الثالث والسلاجقة الان ولم تستعيد الخلافة نفوذ القديم الذي تمتعت به في العصر الذهبي [١١].

لم يحدث تغير جوهري لأوضاع العراق والخلافة في ظل النفوذ السلجوقي، الذي اعلن ولائه واحترامه امام الامة لكنه في الواقع كان كأي سلطة اجنبية طامعة تنطلق من وحي مصالحها السياسية وأطماعها، والمرجح أنّ الخلافة أخطأت حساباتها مرة اخرى كما حصل ذلك مع البويهيين من قبلُ، ظناً منها ان الاعتماد على القوة الاجنبية هو الحل لمشاكلها وينقذها من مأزقها، حيث إنّ الخلافة العباسية لم يكن لديها اي خيار ومغلوبة على امرها ، والبساسيري ضاغط على الخليفة يريد ان يدعوا للفاطميين في مصر ، وتراسلت الخلافة مع السلاجقة مضطرة للخلاص، وتبعا لذلك سار طغرل بك الى بغداد لبسط نفوذه في محرم (٤٤٧هـ/١٠٤٥م)[١٢].

انتزاع تفويض الصلاحيات:

حظي الخلفاء العباسيين باحترام السلاجقة وتقديرهم ظاهرياً ، وكان الهدف من ذلك ابقاء الخلفاء بعيدين عن شؤون الدولة وان يوفروا للسلاجقة غطاءً شرعياً يحكم البلاد من خلال التفويض ومنح الالقاب والخلع[١٣] قال ارنولد:" إن السلاجقة كانوا يحترمون الخليفة العباسي لا لمركزه السياسي بل لأنه خليفة الله او ظل الله"[١٤] ، وقبيل دخول السلاجقة بغداد امر الخليفة العباسي القائم بأمر الله بأن يذكر اسم السلطان السلجوقي طغرل بك في الخطبة وان يكون لقبه: "السلطان ركن الدولة ابا طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين"[١٥] وحينما عاد السلطان من الموصل الى بغداد ، حظي بمقابلة الخليفة فمنحة تفويضاً عاماً وقال الخليفة لوزيرة طغرل بك واما عميد الملك الكندري يترجم للسلطان بقوله : " وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده فأتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك واجتهد في عمارة البلاد وصلاح العباد ونشر العدل وكف الظلم"[١٦] وبعد هذا التفويض زاد الخليفة في إكرام طغرل بك بمنحة الخلع العديدة والتاج وخاطبه بـ: ملك المشرق والمغرب[١٧].

استمر السلاطين السلاجقة يتطلعون الى الحصول على التأييد المعنوي من الخليفة ، فالسلطان ألب ارسلان لم يزر بغداد كثيراً ، وكلف وفداً للذهاب الى بغداد أن يلتمس من الخليفة العباسي تسميته بـ : الولد المؤيد فأجابه الخليفة الى ذلك ولقبه بـ: ضياء الدين عضد الدولة، وعندما زار السلطان ملك شاه بغداد تطلع الى الحصول على المزيد من الالقاب والخِلع، بعد ان قدَم الهدايا ومظاهر الاحترام والطاعة ، فجلس له الخليفة جلوساً عاماً وخلع عليه وزاد في تلقيبه ، كما ارسل وفداً الى الخليفة يلتمس منه الموافقة على ترشيح ابنه ابي شجاع أحمد لولاية العهد وإكرامه بالألقاب، فأجابه الخليفة لذلك ولقبه:" ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة وعدة امير المؤمنين"[١٨].

وهناك عدة وسائل لمظاهر بذخ والترف عند سلاطين السلاجقة نذكر منها:

الالقاب:

تجاوز الترك وسلاطينهم السلاجقة الحد في اتخاذهم الالقاب، التي تظهر قوتهم وسلطانهم من جهة وضعف الخلافة من جهة اخرى[١٩]، فنقشت القابهم على السكة وكتبت في مخاطبات الجد الاكبر للعائلة، دقاق اما سلجوق فلقبه: سباشي، ومعناه (قائد الجيش)[٢٠].

أما طغرل بك؛ فلقب في سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) بلقب : ملك الملوك وهو اول ملك او سلطان سلجوقي ، وفي (٢٥ ذي القعدة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م) توج وطوق وسور ، وافيضت عليه سبع خلع سود من طراز واحد تمثل مملكة الاقاليم السبعة ، وعمم بعمامة مذهبة وجمع بين تاج العرب والعجم وقلد سيفا محلى بالذهب ، ثم قلده الخليفة سيفا آخر كان بين يديه فتم له بذلك تقليد السيفين بمعنى انه تقلد ولاية الدولتين ، فخاطبه الخليفة بـ : " بملك المشرق والمغرب"[٢١] ، وكذلك لقبه بـ : شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب ومحيي الاسلام وخليفة ، والامام يمين خليفة الله امير المؤمنين [٢٢] ، وعند دخوله بغداد لقبه الخليفة : ركن الدولة ويمين امير المؤمنين ، ثم تلقب بـ : ملك المشرق والمغرب ، وتلقب السلطان الب ارسلان بلقب عضد الدولة برهان امير المؤمنين واقترح ان يخاطب له بـ : (المؤيد) فأجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة ، وقيل له : سلطان العالم ، وبعد موقعة ملاذكرد سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)[٢٣] التي انتصر فيها السلاجقة على الروم واسروا الامبراطور رومانوس ، ذكره الخليفة القائم بخطاب التهنئة (الولد السيد الاجل) المؤيد المنصور المظفر السلطان الاعظم مالك العرب والعجم سيد ملوك ضياء الدين غياث المسلمين ظهير الايمان كهف الانام عضد الدولة القاهرة تاج الدولة الباهرة سلطان ديار المسلمين برهان امير المؤمنين ، وعرف السلطان ملكشاه بن ارسلان بلقب : السلطان معز الدنيا والدين قسيم امير المؤمنين[٢٤] . ثم لقب بلقب: السلطان المعظم شاهنشاه ركن الاسلام معز الدنيا والدين وملوك العرب والعجم سلطان ارض الله ركن الاسلام والمسلمين يمين امير المؤمنين[٢٥] ، وكذلك لقب السلطان الكبير جلال الدولة ابو الفتح [٢٦] وكان ملكشاه كما وصفه ابن خلكان : " احسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل"[٢٧].

مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر السلاجقة:

كان اهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد فارس وبغداد في عصر الدولة السلجوقية، انغماس السلاطين وكبار رجال الدولة في الترف اذ كانوا يعيشون عيشة تتسم بالبذخ

والأُبهة ؛ لأن اتساع الدولة يسر لهم سُبل الحياة المترفة الناعمة وقد شغف السلاجقة بسكن في القصور الفاخرة بعد قيام دولتهم واستقرارهم وتركهم حياة البداوة والتنقل وتفننوا في تجميل قصورهم ، فكانت قصور السلاطين مضرب المثل في الروعة والجمال ، وكانت لهم مجالس للطرب والغناء والشراب، ولم تقتصر مجالس الغناء والطرب على السلاطين بل قلدهم فيها الامراء والوزراء وكبار رجال الدولة[٢٨] كذلك ؛ لأرتدائهم افخر الملابس المصنوعة من الاقمشة الموشاة بالذهب والفضة والمرصعة بالدرر والجواهر الثمينة والتي لاتقدر بالثمن يجلبونه من الهند والصين[٢٩] ، أما النساء داخل القصور السلجوقية فكن يتفنن في اختيار الازياء الثمينة ذات الالوان المتباينة المحلاة بخيوط الذهب والفضة والجواهر وعلى رؤوسهن العصائب المرصعة بالدرر والياقوت والاحجار الكريمة الغالية الثمن[٣٠] كما كن يتزيين بالقلائد والاكاليل والتيجان والمناطق من الاقمشة الحريرية المزينة بقطع من الذهب مع الفضة وايضا كانت تلبس الخلاخل الثمينة في اقدامهن[٣١] ، فضلا عن أنّ القصور كانت آية في روعة البناء وحسن التنسيق وجمال التأثيث وبديع الزيين ، كما كانت محاطة بالحدائق ذات الزهور المستوردة من جميع المناطق القريبة والبعيدة ، وزينت في الفناء ذات الاناقة والبهاء، وصممت الزهور بطريقة هندسية غاية في الروعة والجمالية[٣٢] ، ففي متحف بنسلفانيا كسوة جدار بالجص والزخارف البارزة ، عليها رسم السلطان طغرل بك جالس داخل حنية تمثل قاعة العرش ، وامامه تبدو قوائم عرشة وكأنها شماعد على شكل زهرة اللوتس من اعلى ، وتنتهي قاعدة العرش من اسفل على هيئة افيال ، في الجزء العلوي من هذه الكسوة الجصية شريط من كتابة خط النسخ، نصها: " السلطان الملك الاعظم طغرل بك العالم " ، كما كتبت ايضا كتابة على العرش بنص:" الملك المظفر العادل"[٣٣] ، وتجد السلطان نفسه يضع تاج ذا ثلاث فصوص تزينه مجموعة من حبيبات ربما تكون من حبات لؤلؤ قد رصع التاج بها[٣٤] ، وقد ادى انغماس السلاطين السلاجقة وكبار رجال الدولة في الوان الحياة المترفة الى اصابتهم بالامراض المهلكة ؛ نتيجة الانكباب على الملذات والشهوات وعدم التوسط في ممارسة الوان الحياة المختلفة ، كما امرت بذلك تعاليم الاسلام التي دعت المسلمين الى ان يكونوا امة وسطا والى ان يأكلوا ويشربوا دون ان يسرفوا[٣٥].

أثار الترف والبذخ في المجتمع البغدادي:

لم يكن الترف والبذخ الذي نعم به الخلفاء والامراء والسلاطين السلاجقة ورجالات الدولة سائدا بين جميع الطبقات المجتمع البغدادي ، فغالبية السكان من الطبقة العامة التي تضم الضياع والفلاحين وعدد كبير من العلماء والادباء ، وكان مستوى معيشة هذه الطبقة متباينا[٣٦] قال التنوخي : " ان الباعة المتجولين الذين يعرضون سلعهم على قارعة الطريق قد يبيعون بدرهمين في

اليوم ويصل اجر المعلم الى درهمين او ثلاثة في اليوم اما الطبيب الذي يعالج العامة فيصل أجره الى اربعة دراهم يوميا وكانت دورهم التي يسكنوها غاية في البساطة لا تحميهم برد الشتاء ولا حر الصيف في اغلب الاحيان " [٣٧].

ونتيجة لهذا التفاوت في المعيشة بين الخلفاء ورجالاتهم وطبقة العامة، ادى الى نتائج وآثار في المجتمع البغدادي، منها: قيام ثورات ضد الحكام واساليب وطريقة حكمهم الغير العادل تجاه رعيتهم ، ادى الى المطالبة وبشكل مستمر زيادة الاجور وتوفير وسائل المعيشة لهم ، وكذلك دفع الميل الى الترف بعض رجالات الدولة الى الالتجاء الى الرشوة في توزيع الوظائف ، كما لم يتحرج بعض الخلفاء او الامراء والوزراء عن فرض ضرائب على الناس بشكل عشوائي ؛ وذلك لحاجتهم الى المال نتيجة حياة الترف والبذخ التي تعودوا عليها .[٣٨]

خطوبة طغرل بك من ابنة الخليفة القائم بالله العباسي:

في سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) خطب السلطان طغرل بك ابنة الخليفة فأنزعج من ذلك وقال هذا شيء لم تجر العادة بمثله ، ثم طلب اشياء كثيرة كهيئة المُبعِد له ، وفي عام (٥٥٤هـ١١٥٩م) اجاب الخليفة في محرم منها الى الوصلة وكتب وكالة بأسم عميد الملك شهد فيها قاضي القضاة فسُر (فرح) السلطان واحتفل ووفي له القدر بما كفل [٣٩] ، وعقد العقد في تبريز وسُيرت الهدايا واصحبه برسم الخليفة ثلاثين غلاما وجارية أتراكاً على ثلاثين فرسا ، وخادمين وفرس بمركب ذهب وسرج مرصع بالجواهر الثمينة وعشرة الاف دينار ، وبرسم السيدة عشرة عشرة الاف دينار وتوقيعا ببعقوبا وما كان لخاتون المتوفاة بالعراق ، وعقدا فيه ثلاثون حبة لؤلؤة وكل حبة لؤلؤ تقدر آنذاك بخمسة الاف دينار وبرسم عدة الدين خمسة الاف دينار وبرسم السيدة والدة المخطوبة ثلاثة الاف دينار ، وذلك في شوال من السنة نفسها ، فلما قرُب رئيس العراقين من بغداد تلقاه الناس واستبشروا بانتظام الالفة بين الامامة والسلطنة فلما وصل الى باب النوبي نزل وقبل الارض ثم وصل الى باب ارسلان خاتون زوجة الخليفة وادى من خدمتها الغرض ، واوصل اليها ما حمله فتولت تسليمه وباشرت عرضه بالمقام النبوي وتقديمه [٤٠].

ولما استقر الملك طغرل بك ارسل وزيره يطلب بنقل السيدة من الدار العزيزة النبوية الى دار السلطنة فتمنع الخليفة وقال :" انكم سألتم ان يعقد العقد فقط لحصول السلطان زيادة على النقد مائة الف دينار ومائة وخمسين الف درهم وايضا عددا من التحف ، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة الى دار السلطنة فضربت لها السرادقات في دجلة الى دار السلطنة ، وضربت الدبادب والبوقات ، وعند دخولها دار السلطنة وكانت ساعة عظيمة أُجلست

على سرير مكلل بالذهب وعلى وجهها بُرقع ، ودخل السلطان طغرل بك فوقف بين يديها فقبل الارض ولم تقم له ولم تره ولم يجلس حتى انصرف الى صحن الدار والحجاب والاتراك يرقصون هناك فرحا وسرورا ، وبعث لها مع الخاتون ارسلان ابنة اخية زوجة الخليفة عقدين فاخرين وقطعة ياقوتة حمراء هائلة ودخل من الغد فقبل الارض وجلس على سرير مكلل بالفضة [٤١]. وبإزائها ساعة ثم خرج وارسل لها جواهر كثيرة ونفيسة مثمنة وفوجية نسيج مكلل باللؤلؤ ومازال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الارض ويجلس على سرير بأزاها ثم يخرج فيبعث بالتحف والهدايا ولم يكن منه اليها شيء مقدار سبعة أيام ويمد كل يوم من هذه الايام السبعة سماطا عظيما وخلع يوم السابع على جميع الامراء ثم عرض له سفر [٤٢].

وبخصوص وصف جهاز ابنة السلطان ملك شاه وزفافها في المحرم، فقد نقل جهاز ابنة السلطان ملك شاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجلله بالديباج الرومي ، وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاثة عماديات، وعلى اربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الفضة والذهب ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة لا يقدر ما فيه من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومهد عظيم ولم تكن قصور الامراء تقل روعة عن قصور الخلفاء عامة فقد انتقلت الثروة في عهد امراء بني بويه من ايدي الخلفاء اليهم [٤٣].

جاء السلاجقة العسكريون يحكمون العراق ويستأثرون بالسلطة ، وكان الخلفاء العباسيون يعيشون في ايام السلاجقة من اقطاعات مفرزة يديرها عمال على رأسهم وزير وكاتب الانشاء كما كانت الحال في ايام بني بويه ولم يكن لهؤلاء الخلفاء شيء سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشة على السكة كما كانوا يقضون اوقاتهم في بناء القصور وترميمها [٤٤] ، على الرغم من ان حياة الترف والبذخ كانت لها نتائج سيئة فأن هذة الحياة انتجت مظاهر حضارية نذكر منها :

١- بناء القصور والجوامع الفخمة وان كلفت الدولة اموالا كثيرة ، إلا انها تعد من مظاهر تقدم العمران والفنون ، فالقصور التي بناها الخلفاء تعد دليلا على مدى تقدم فن العمارة .

٢- تقدم الصناعات المختلفة ورواجها ، نذكر من بينها صناعة الخز والوشي والديباج والسجاد والمنسوج من الصوف او الحرير والاواني الزجاجية والخزفية بألوانها الرئعة والزاهية وذات النقوش الراقية ، وهذا دليل على دقة العمل في هذا المجال .

٣- الادب والغناء اللذين كان للترف والنعيم الذي ساد البلاط الخلفاء والامراء والسلاطين اثر كبير في تقدمها ، ذلك ان انظار الادباء والشعراء والمغنين كانت موجهة الى الخلفاء والامراء ، ومن ثم توافدوا الى قصورهم ليعرضوا إنتاجهم ، طمعا في هباتهم واعطياتهم ، الامر الذي ادى الى ازدهار النتاج الادبي والفني بشكل عام(٤٥).

الخاتمة:

استطاع السلاجقة تأسيس إمبراطورية واسعة ضمت لأول مرة أجزاء واسعة من الأراضي لم تعرف الطاعة للخلافة العباسية ، وقد احتفظ الخلفاء العباسيون كحكام اسميين ، لكن قيام الإمبراطورية السلجوقية قد قوى الخلافة وبعث الحياة فيها ، واصبح نفوذ الخليفة العباسي بالرغم من انه كان اسميا على مناطق جديدة (٤٦) ، وكان الاتراك السلاجقة يمثلون القوة الإسلامية الجديدة التي حلت محل الغزنويين في خراسان والمشرق الاسلامي ، والتي غذت الاسلام بدماء فتية جديدة ساعدته على الصمود والانتصار والانتشار في بلاد الروم ، ذلك لأن الخلافة العباسية قبل ذلك الوقت كانت عاجزة عن حماية حدودها بسبب عدواتها مع الخلافة الفاطمية في القاهرة ، وقد انتهزت الدولة البيزنطية هذه الفرصة واخذت تُغِير على الحدود العباسية في ذلك الوقت ، الى ان جاءتها من المشرق تلك القوة الفتية فأنقذتها من انهيار محقق ، وكان لقب السلطان الذي اطلقه السلاجقة على انفسهم تطورا لمنصب: امير الامراء، واعتمد السلاجقة في حكمهم وادارتهم على طبقة من الاداريين الفرس، وكانت تقاليد السلطة عندهم مزيج من التقاليد التركية والفارسية ، وقد تطور نظام الإقطاع العسكري زمن السلاجقة، كما وجد لديهم نظام الاتابكية، وأحدثت هجرة الأتراك إلى إيران والعراق تأثيرا بشريا واجتماعيا كبيرا ، فقد أزالت الهجرة طبقات الارستقراطية المحلية وأحلت محلها طبقات تركية جديدة، كما أن الهجرة استقدمت أعدادا وفيرة من الترك واختلط الترك بالسكان المحليين، من خلال المصاهرات والأعمال التجارية، وأصبح الترك جزء من السكان الأصليين(٤٧).

الهوامش والمصادر:

(١) طغرل بك: هو محمد بن ميكائيل ابن سلجوق ابو طالب السلطان الذي يقال له طغرل بك ، انظر: زكار: سهيل :تاريخ العرب والاسلام (دمشق :دار الفكر،١٩٨٢)٣٢٩.

(٢) الجاف :حسن :الوجيز في تاريخ ايران (بغداد :بيت الحكمة :٢٠٠٣)،ج ٢،ص ١٣٠؛الصلابي:علي محمد :دولة السلاجقة (القاهرة :مكتبة الايمان :٢٠٠٦)، ص ١٨.

(٣) الجميلي :رشيد عبد الله :امارة الموصل في العصر السلجوقي ٤٨٩-٥٢١هـ، (بغداد: المكتبة الوطنية :١٩٨٠)،ص ٣٣.

(٤) فوزي :فاروق عمر :الخلافة العباسية السقوط واللانهيار (عمان :دار الشرق:١٩٩٨)،ج٢،ص ١٦١.

(٥) ايلسيف:بيكيتا :الشرق الاسلامي في العصر الوسيط (بيروت :دار الكتاب :١٩٨٦)،ص ٣٤٣.

(٦) طقوش :محمد سهيل :تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق (بيروت :دار النفائس :٢٠١٠)،ص ٤٣.

(٧)الخالدي: فاضل: الحياة السياسية ونظم الحكم (بغداد: مطبعة الايمان :١٩٦٩)،ص ١٤٤-١٤٥.

(٨)الجاف :الوجيز :ج ٢،ص ١٣٧.

(٩)الصلابي :دولة السلاجقة :ص٢٠.

(١٠)العريس :محمد :موسوعة العصر العباسي (بيروت :دار اليوسف ،٢٠٠٥)،ص ٢٤٢.

(١١)زكار:تاريخ العرب ،ص ٣٢٩.

(١٢)ابن الجوزي :ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧هـ):المنتظم في تاريخ الملوك والامم (بغداد :دار الوطنية :١٩٩٥)،ج ٨،ص ٢٣٣.

(١٣)زكار :تاريخ العرب والاسلام ،ص ٣٣٠.

(١٤)الصلابي :دولة السلاجقة ،ص٦٢.

(١٥)زكار:تاريخ العرب والاسلام ،ص٣٣١.

(١٦)فوزي :الخلافة العباسية ،ج ٢،ص١٧٠.

(١٧)ابو بدر :شاكر احمد :الحروب الصليبية والاسرة الزنكية (بيروت :مطبعة المعارف ،١٩٧٢)،ص ٣٣.

(١٨)زيدان :جرجي كتاريخ التمدن الاسلامي (القاهرة:دار الهلال :١٩٧٣) ج ٤،ص ٢٢٠.

[١٩]فوزي :الخلافة العباسية ،ج٢،ص ١٧٣.

[٢٠]طقوش :تاريخ الدولة العباسية ،ص ص ٢٣٩،٢٤٠.

[٢١]حسن:ابرهيم حسن :النظم الاسلامية (القاهرة :مكتبة النهضة المصرية ،١٩٧٠)،ص ٧٠.

[٢٢]ابن الجوزي،المنتظم ،ج٨،ص٢٤٣.

[٢٣]السامرائي :تاريخ الدولة اللاسلامية ،ص ٢٣٠.

[٢٤]القيسي :حسين علي :طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر (بغداد:دار الشؤون الثقافية :٢٠٠٧)،ص ٢٨.

[٢٥]السامرائي :تاريخ الدولة الاسلامية ،ص ٢٣١.

[٢٦]مجموعة المؤلفين :موسوعة المقاومة البغدادية منذ التأسيس حتى الغزو المغولي (بغداد:بيت الحكمة :٢٠٠٣")،ص ١٤٤.

[٢٧]طقوش :تاريخ الدولة العباسية ،ص ٢٤١.

[٢٨]طقوش : المرجع السابق ،ص٩٩.

[٢٩]طقوش :المرجع نفسه ،ص ٢٤٤.

[٣٠]ناجي :حميد عبد الجبار :الدولة العباسية في العصر العباسي (البصرة :الدار الكتب والوثائق :١٩٨٩)،ص ٤١٤.

[٣١]فوزي :الخلافة العباسية ،ج ٢،ص ١٨٠.

[٣٢]الجميلي :رشيد عبد الله :تاريخ الدولة العربية الاسلامية (بغداد :دار الكتب العربية :١٩٨٩) ،ص ٧٠.

[٣٣]الصلابي :دولة اليلاجقة ،ص ١٤٥.

[٣٤]الخالدي :الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ،ص ١٤٤.

[٣٥]ابن الجوزي :المنتظم ،ج ٨، ص ٢٤٣.

[٣٦]حسنين :عبد النعيم محمد :ايران والعراق في العصر السلجوقي (بيروت :دار الكتاب اللبناني ،١٩٨٢) ص ١٨٧.

[٣٧]التنوخي :علي بن محمد :نشوار المحاضرة ،ج٢،ص ١٤٤.

(٣٨)ايوب :ابراهيم :التاريخ العباسي السياسي والحضاري (بيروت :الشركة العالمية للكتاب ،٢٠٠١)،ص ٢٥٧.

(٣٩)العبيدي :صلاح العبيدي :الملابس الاسلامية في العصر العباسي الثاني (بغداد :دار الرشيد :١٩٨٠) ص ٨٤.

(٤٠)رحمة الله :مليحة :الحالة الاجتماعية في العراق (بغداد:مطبعة الزهراء :١٩٧٠)،ص ٧٨.

(٤١)الاصفهاني :عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ):تاريخ دولة آل سلجوق (بيروت :دار الكتب العلمية :٢٠٠٤) ص ص١٩٥-١٩٦.

(٤٢)ابن كثير عماد الدين بن ابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ):البداية والنهاية (القاهرة :مكتبة النهضة :١٩٨٤)ج ١٥،ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٤٣)ابن الاثير:ابو الحسن عزالدين بن علي بن ابي الكرم بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ):الكامل في التاريخ (بيروت :دار الفكر :١٩٨٧) ج ٨،ص ٤٥١.

(٤٤)ابن خلدون :عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ):العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت :دار الفكر :٢٠٠٠) ج ٥، ص ١٢٢.

(٤٥)حسن ابراهيم حسن :تاريخ الاسلام ،ج٤،ص ٧٢.

(٤٦)مليحة رحمة الله :الحالة االاجتماعية في العراق ،ص ٧٨.

(٤٧)ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،ج ٨ ،ص ٤٥٢.